المورد

مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
الجمهورية العراقية
المجلد الخامس عشر - العدد الثالث ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
٣

WWW.ATTAWEEL.COM

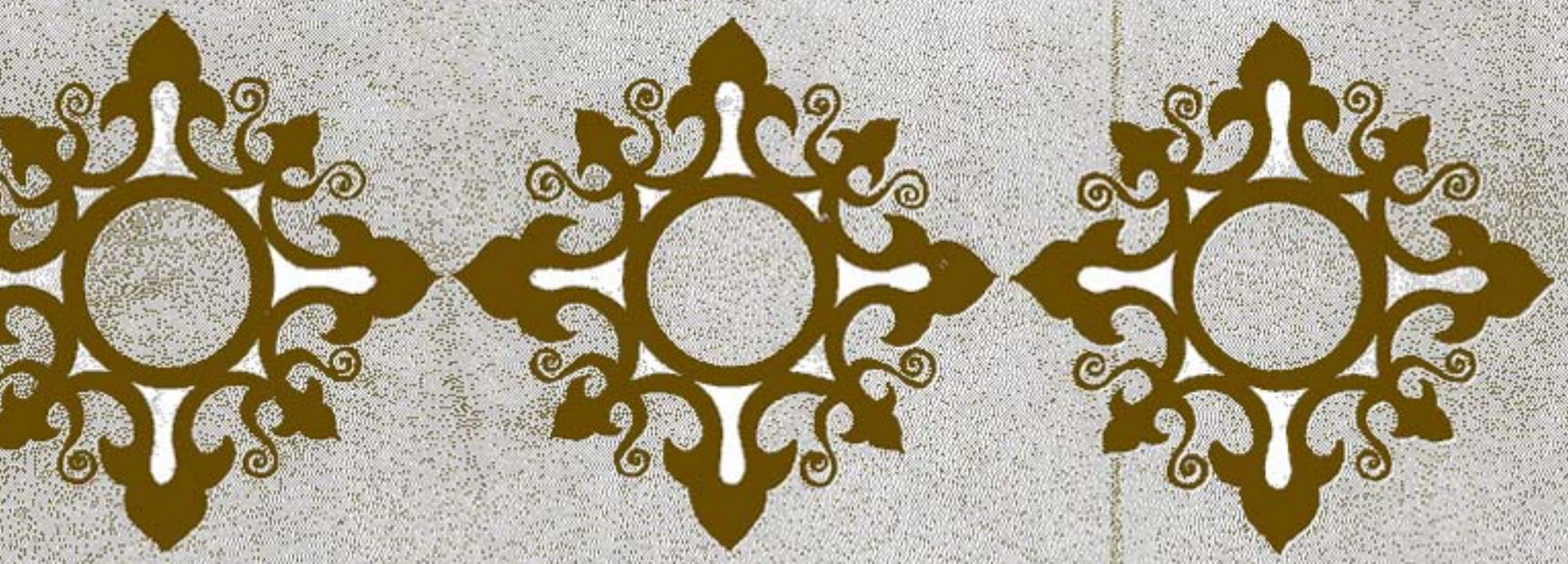

أسد الدين محمد

مراجعة لكتاب الدكتور خليل عمايرة
« في نحو اللغة وتراكيبها »

الدكتور
سميح شريف ستيتية
جامعة اليرموك
اربد ـ الاردن

اطلعت على كتاب صدر حديثاً للدكتور خليل عمايرة تحت عنوان : في نحو اللغة وتراكيبها ـ منهج وتطبيق . يقع الكتاب في ثلاثة فصول ، خصص الفصل الاول منها لما سماه المؤلف : دراسات في علم اللغة العام . وخصص الفصل الثاني لدراسة اعلام النهضة بالدرس اللغوي في الغرب ونظرياتهم ؛ ودرس في الفصل الثالث الجملة العربية بين التوليدية والتحويلية .

قرات الكتاب وانا يشدني اليه عنوانه ، غير ان اشد ما يفجأ القارىء كثرة الادعاءات التي جاءت في هذا الكتاب ، والمجازفة باطلاق الاحكام ، ونسبة اقوال الى علماء لم يقولوا بها ، او تحريف اقوالهم ؛ حتى كان ذلك طابع الكتاب ، وسمته الاساسية . وسآتي على ذلك في بيان فاصل ، تاركا الحكم للقارىء الكريم . على انني حاولت جاهداً ان اترك اية مسالة فيها خلاف ، او مناقشة اية فكرة يمكن ان يكون لها من موارد الاحتمال مورد .

يذكر المؤلف في مقدمة كتابه ، ان فكرة هذا الكتاب تكونت لديه عندما كان يناقش مع احد العلماء الالمان ، اثناء مشاركته في المؤتمر الثالث للبحث في تراكيب اللغة الذي عقد في بولندا سنة ١٩٨٠ ، فكرة العناصر الرئيسة للتراكيب اللغوية بعامة ، والخصائص المشتركة لتراكيب عدد من اللغات . ثم اتيحت له فرصة مناقشة هذه الفكرة بالتفصيل جزءا جزءا كما يقول المؤلف ، مع احد اشهر علماء اللغة المعاصرين ، مؤسس علم النحو الوظيفي الجديد Functional Grammar وهو البروفوسور Kuno (ص ٧) . ولقد ذهلت حين قرات هذا الوصف لهذا العالم . فالبروفوسور Kuno ليس هو مؤسس علم النحو الوظيفي. لقد وضع المؤلف هذا العالم في مكان لم يكن ليدعيه لنفسه يوما ، ولا وصفه به احد من العلماء ان النحو الوظيفي Functional Grammar هو مذهب مدرسة براغ Prague School التي يقف على راسها جاكوبسون وتروبتسكوى . ولو ان المؤلف قرأ كتاب العالم اللغوي Sampson او اطلع عليه وعنوانه Schools of Linguistices

WWW.ATTAWEEL.COM

لعرف هذه الحقيقة . ففي الكتاب المذكور فصل كامل عن علم اللغة الوظيفي. وقد سمي Sampson هذا الفصل كما يلي :
. Functional Linguistics: the Prague School

والجدير بالذكر ان Sampson لم يذكر اسم العالم Kuno ولا مرة واحدة في هذا الفصل ، بل لم يرد له ذكر في ذلك الكتاب . وحتى يطمئن القارىء الى ان النحو الوظيفي هو مذهب مدرسة براغ التي يقف على راسها Jakobson و Trubetzkoy فما عليه الا ان يقرأ ما قاله العلامة John Lyons في الجزء الثاني من كتابه Semantics : « ان من اهم خصائص مدرسة براغ التي تميزها عن غيرها من المدارس اللغوية هو تركيزها على الوظيفية functionalism . » (ص ٥٠٦) . ولست استكثر على البروفوسور Kuno ولا غيره ان ينتمي الى هذه المدرسة ، ولكني انكر على المؤلف ان يصفه بانه هو مؤسس علم النحو الوظيفي .

ومن الادعاءات التي وقع فيها المؤلف انه وصف ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هجرية بأنه صاحب نظرية التوقيف في اصل اللغة (ص ١٧) . ولست ادرى كيف يصح في فهم المؤلف ان يكون ابن فارس هو صاحب نظرية التوقيف في اصل اللغة ، مع ان الامام الاشعري الذي توفي سنة ٣٢٤ هجرية ؛ اي قبل ابن فارس بنحو سبعين سنة ؛ كان من القائلين بنظرية التوقيف ، كما صرح بذلك الامام السيوطي في المزهر (ج ١ ؛ ص ٢٥) .

يتساءل المؤلف قائلا : « فما هو علم اللغة في الدراسات اللغوية المعاصرة ؟ وما موضوعاته ؟ » (ص ١٨) ، ثم تراه يجيب عن هذا التساؤل قائلا : « هناك عدة عقبات تعترض طريق من يريد تعريف علم اللغة ، او تحديد موضوعاته . وربما كان من اهم هذه العقبات ، ان هذا العلم يعد من العلوم الحديثة ، التي نشأت منذ زمن ليس بالبعيد . ومن العقبات كذلك ، ان هذا العلم ينمو ويتطور بسرعة كبيرة ، بسرعة لا تسمح لمصطلحاته بان تتضح تماما . » (ص ١٨) ان في هذه الفقرة ، والسؤال الذي سبقها ، من الاخطاء والادعاءات والتناقضات ما لا نستطيع ان نذكره في هذا المقام ، الذي لا يحتاج الى اطالة ، واكتفي بذكر بعضها :

١ ـ ان علماء اللغة يعرفون هذا العلم ، بأنه الدراسة العلمية للغة . ولا توجد اية عقبة امام من يريد تعريف هذا العلم . بل ان هذا التعريف يكاد يجابهك في الصفحات الاولى من كتب اوليات علم اللغة .

٢ ـ لست ادري ما الذي يقصده المؤلف من قوله: « فما هو علم اللغة في الدراسات اللغوية المعاصرة ؟ » اذ ان هذا التساؤل يوحي بان علم اللغة شيء ، والدراسات اللغوية شيء آخر .

٣ ـ اما الادعاء بان من العقبات التي تجابه من يريد تعريف هذا العلم ، هو كون هذا العلم حديثا ، فادعاء غير سليم . فهناك علوم حديثة ، بل هي احدث من علم اللغة وهي تنمو وتتطور بسرعة مذهلة . ومع ذلك ، لايجد المتخصصون على الاقل ، صعوبة في تعريفها فهندسة الفضاء ، وعلم الذرة ، وعلم الاجنة ، كلها علوم حديثة ، وهي تتطور بسرعة عجيبة . ومع ذلك ، فان المثقفين غير المتخصصين لا يجدون صعوبة في تعريفها ، فما بالك بالمتخصصين ؟

٤ ـ لقد ناقض المؤلف نفسه . حين نقل تعريف علم اللغة ، عن علماء اللغة ، بعبارة توحي بوجود نوع من الاتفاق على التعريف . يقول المؤلف في موطن آخر : « اما علم اللغة عند معظم العلماء المعاصرين ، منذ دي سوسير الى يومنا هذا ، فهو العلم الذي يقوم بدراسة لغة ما في ذاتها ولذاتها دراسة علمية دقيقة ، تعطي وصفا دقيقا لانظمة اللغة . » (ص ٢٩) ، فاين ذهبت العقبات التي ادعى المؤلف انها تجابه من يريد تعريف هذا العلم ؟

يقول المؤلف : « فالنعت في العربية تابع يتبع منعوته ولا يتقدم عليه ... ولعل **الترتيب** بين النعت والمنعوت في العربية وعدم مراعاته ، هو الذي يؤدي الى وجود بعض الجمل الملتبسة التي يعتورها الغموض » (ص ٢١) ، ثم ضرب لذلك مثلا التركيب التالي : بقالة الجامعة الجديدة ، وعلق عليه بقوله : « فينصرف ذهن السامع الى ان المقصود هو البقالة . » (ص ٢١) . ان في هذه الفقرة بل الاسطر القليلة من الاخطاء ما يفوق اطار هذه المراجعة ، وسأتناول فيما يلي بعضا منها :

أ ــ أما أن النعت تابع لمنعوته، فامر لا خلاف عليه. واما القول انه لايتقدم عليه فغير صحيح البتة . ففي بعض الاساليب العربية نقول : «جاء الرجل الشجاع ابوه » ؛ ونقول : « هذا كتاب جديد محتواه ، كبير حجمه ، جميل غلافه» **فبحسب المعنى** ، تكون كلمة « الشجاع » نعتا لكلمة « ابوه » في الجملة الاولى ؛ ومع ذلك فقد تقدمت على منعوتها . **وبحسب المعنى كذلك** ، تكون الكلمات «جديد ، كبير، وجميل » نعوتا لكل من « محتوى ؛ حجم ؛ وغلاف » على التوالي ، ومع ذلك فقد تقدم النعت على المنعوت فيها جميعا . هذا اذا اعتبرنا المعنى الذي هو الاساس في نظر المؤلف الذي يصف كتابه بانه : « يعرض وجهة نظر في دراسة الاساليب اللغوية في اللغة العربية في ضوء نتائج علم اللغة المعاصر ومعطياته مع الاهتمام الكبير بالمعنى ، لابرازه على اسس مستقاة من اللغة العربية ، واتخاذه نواة لاعادة ترتيب ابواب النحو العربي . » (ص ٨)

٢ ــ واما قول المؤلف : « ولعل الترتيب بين النعت والمنعوت في العربية وعدم مراعاته هو الذي يؤدي الى وجود بعض الجمل الملتبسة » فقول عجيب حقا ؛ فما الذي يؤدي الى وجود بعض الجمل الملتبسة ؟ اهو الترتيب كما يقول المؤلف ؟ ام هو عدم مراعاته كما يقول المؤلف نفسه ، في الجملة نفسها ؟

٣ ــ واغرب من هذا كله ، المثل الذي قدمه المؤلف، للتدليل على ان الترتيب بين النعت والمنعوت (وعدم مراعاته طبقا لقوله) هو الذي يؤدي الى اللبس . هذا المثل هو : بقالة الجامعة الجديدة . هل يقصد المؤلف ان هذا المثل غير صحيح لانه لايوجد فيه الترتيب الموجود في ذهن المؤلف ؟ وهل الترتيب الصحيح الوحيد هو ان نقول : البقالة الجديدة للجامعة حتى يزول اللبس ؟ اذن ؛ فاين دور حركة النعت في الدلالة على المنعوت ؟ السنا نقول وقولنا صحيح :

هذه بقالة الجامعة الجديدة (بجر الجديدة)

فنعرف ان « الجديدة » تصف الجامعة ؟ او لسنا نقول كذلك وقولنا صحيح :

هذه بقالة الجامعة الجديدة (برفع الجديدة)

فنعرف ان « الجديدة » نعت « البقالة » ؟ اما اللبس ، فلا يوجد الا في حالة واحدة فقط ؛ وهي حالة جر النعت والمنعوتين ، كأن نقول : « مررت ببقالة الجامعة الجديدة » ؛ اذ يحتمل ساعتئذ ان تكون « الجديدة » نعتا للبقالة والجامعة ، سواء بسواء . هذا اللبس قد يوجد في حالة واحدة ؛ هي حالة جر النعت والمنعوتين كما قلت . وعليه ، فليس من الصحيح ان الترتيب (وعدمه كما يقول) هو المسؤول عن هذا اللبس . اذ لو كان الامر كذلك، لاقتضى الامر ان يظل اللبس موجودا في حالتي الرفع والنصب ، مادام السبب في اللبس هو الترتيب وعدمه .

يقول المؤلف في معرض حديثه عن التنغيم : « مثلا : Ali came بنغمة صوتية مستوية ؛ فتكون الجملة خبرية . ولكن اذا ماغير المتكلم النغمة الى صاعدة ، فان المعنى لا محالة متغير الى معنى الاستفهام . » (ص ٢١) . وللرد على هذا اقول :

١ ــ ليس صحيحا ان النغمة الصاعدة تعني فقط (او لا محالة كما قال) الاستفهام . فقد تعني الى جانب ذلك ، التعجب ، وقد تعني التهكم، اوالتحذير، او غيرذلك مماذكره العلامة Pike في كتابه Tone Languages (ص ١٦) .

٢ ــ يناقض المؤلف نفسه مناقضة صريحة ، اذ يقول في موطن آخر : « في حين اننا عند النطق بالجملة التحويلية التحذيرية ننطقها بنغمة صوتية صاعدة . »(ص ١٦٢).

٣ ــ ان ملاحظات المؤلف وتقريراته ، واحكامه التي اصدرها حول النغمة الصاعدةوالمستوية، ليست مبنية على اسس علمية . فقد راينا انه يحكم بان الجملة الخبرية ذات نغمة مستوية . وليس الامر كذلك بالضرورة ، فقد ترتفع النغمة في الجملة الاخبارية ، عند احد عناصرها التركيبية ، وقد تنخفض . فاذا طبقنا ذلك على المثل الذي جاء به المؤلف وهو Ali came وجدنا انه اذا كان القائل يقصد ان عليا لا غيره ، قد اتى ، فان النغمة ترتفع عند نطق الاسم Ali .واذا كان المقصود ان عليا قام بفعل المجيء دون غيره من الافعال ، ارتفعت النغمة عند النطق بالفعل came . هذا كله في الجملة الاخبارية وفيها كما رأيت صعود ، وفيها كما رايت هبوط . والجملة الاستفهامية ليست

بالضرورة ذات نسمة صاعدة ، فقد ترتفع وقد تنخفض ، كما قرر ذلك العلماء . (انظر مثلا : كتاب العالم Smalley الموسوم بـ Manual of Articulatory Phonetics ، (ص ٩٠ ــ ٩٤) .

ينسب المؤلف للعالم الفرنسي دى سوسير انه يفرق بين مناهج التحليل التي تعتمد على وصف اللغة في زمن محدد diachronic grammar والمنهج التاريخي المسمى synchronic grammar (ص ٤١) . والذي ذكره المؤلف هو عكس الصحيح تماما . فان المنهج الذي يصف اللغة في فترة زمنية محددة هو ما يسميه سوسير .
synchronic grammar
واما المنهج التاريخي فيسميه سوسير ايضا
. diachronic grammar

ومن المغالطات التي وقع فيها المؤلف انه بعد استعراضه الخلاف على اسمية نعم وبئس وحبذا، او فعليتها ، قال : « والفريقان ــ البصريون والكوفيون ــ يدركان انه لا تنطبق عليها شروط الاسمية ولا شروط الفعلية ، لا فيما وضعه سيبويه من ان الفعل مايشير الى حدث وزمن ، والاسم مايشير الى مسمى ، ولا فيما وضعه ابن مالك بقوله :

بالجر والتنوين والندا وال
ومسند للاسم تمييز حصل
بتا (فعلت) و (اتت) ويا (افعلي)
ونون اقبلن فعل ينجلي (ص١١١)

في هذه الفقرة المغالطات التالية :

١ ــ ان ابن مالك ليس واضعا لعلامات الاسمية والفعلية . كل الذي فعله الرجل هو انه نظم هذه العلامات نظما ، وهي معروفة قبله بزمن طويل . ويكفي ان تعلم ان سيبويه يقول في الكتاب : « كما انه ليس في الاسماء جزم ، لان المجرور داخل في المضاف اليه، معاقب للتنوين ، وليس ذلك في هذه الافعال (ج١ ، ص١٤) ، ويقول : ويبين لك انها ليست باسماء انك لو وضعتها مواضع الاسماء لم يجز ذلك(ج١ ، ص١٤)،ويقول : لان الجر للاسم لا يجاوزه (ج ١ ، ص ١٧) .

وهكذا يتبين لك ان ابن مالك ليس واضعا ، وانما هو ناظم لاغير .

٢ ــ واما ان(ماوضعه)ابن مالك لاتنطبق عليه فعليه ولا اسمية نعم وبئس ففير صحيح البتة . اذ على الاقل ، يمكن ان تلحق تاء التأنيث بنعم وبئس ، فنقول بها ونعمت ، وبئست الحياة الدنيا ، وذلك بالحاق تاء التأنيث بهما. ويكون ذلك منطبقا على قول ابن مالك :
بتا فعلت ، واتت ..... فعل ينجلي

٣ ــ واما القول ان الفريقين يدركان انه لاشروط الاسمية ولاشروط الفعلية تنطبق على نعم وبئس فاتهام للفريقن عظيم . ولا يستهين بالادلة التي اوردها الفريقان الا من يستهين بالدليل العلمي ، وليست هذه الصفة من صفات العلماء .

٤ ــ يتحدث المؤلف عن الخلاف بين البصريين والكوفيين على اسمية نعم وبئس وحبذا وفعليتها . واحالنا الى المسالة الرابعة عشرة من مسائل الخلاف في كتاب الانباري (الانصاف) مع ان الانباري لم يذكر في هذه المسالة الا الخلاف حول نعم وبئس فقط ، ولم يذكر شيئا من ذلك حول (حبذا) .

يصرح المؤلف ان ترتيب عناصر الجملة العربية على النحو التالي : VSO شير وارد في العربية الفصحى (ص٩٧) . وهذا يعني بداهة ، ان العربية الفصحى لاتقبل تركيبا يكون العنصر الاول فيه هو المفعول به ، والثاني الفاعل ، والثالث الفعل . وعلى هذا ، لايجوز ان نقول : محمدا علي ضرب ، كما لايجوز ان نقول : محمدا على ضارب (لان اسم الفاعل هنا يؤدي وظيفة الفعل) . فاذا اردنا ان نعرف ان هذا الادعاء لا اساس له من الصحة فما علينا الا ان نقرا قول ابن مالك في ص ٨٤ من تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، اذ نص على جواز ذلك صراحة ، وضرب لذلك الامثلة التالية : زيدا غلامه ضرب ، وغلامه او غلام اخيه ضرب زيد ، وما اراد اخذ زيد ، وما طعامك اكل الا زيد . وروى جواز ذلك السيوطي ايضا في ص١٠٣ من همع الهوامع .

ومن الادعاءات الواردة في هذا الكتاب قول المؤلف : ولم ينص احد من النحاة على ان الواو ــ واو القسم ــ يمكن ان تدرج في باب حروف الجر (ص١٠٦) وهذا قول خطير يفهم منه ان النحاة

يرفضون ان تكون واو القسم حرف جر . يقول السيوطي : ومن الحروف الجارة احرف القسم فمنها الباء .. والواو واللام وتختصان باسم ظاهر (انظر الفرائد الجديدة ، جـ٢ ، ص ٥٧٠) ويقول صاحب الجنى الداني في باب الواو : « حرف يكون عاملا وغير عامل ، فالعامل قسمان جار وناصب فالجار واو القسم وواو رب » (ص١٥٣) ويقول صاحب رصف المباني : « ولاتخفض – واو القسم في هذا الباب الا الظاهر ، بخلاف الباء ، فانها تخفض الظاهر والمضمر . (ص.٤٢) .

ان التوثيق جزء من الامانة العلمية التي هي من اهم خصائص البحث العلمي . ونسبة اقوال الى علماء لم يقولوا بها ، من اكبر الكبائر التي لا تغتفر لشخص عادى ، فضلا عن الرجل الذي يعمل في مؤسسة اكاديمية . لقد نسب المؤلف اقوالا الى علماء لم يقولوا بها . وكان يحرف اقوال بعض العلماء تحريفا مخلا ، كما كان يحمل اقوال بعضهم مالاتحتمل . ولن استطيع ايراد ذلك كله في هذا المراجعة . ولذا فساكتفي بايراد الامثلة التالية، على ان يكون معلوما انني استخدمت في بيان ذلك الطبعات نفسها التي استخدمها المؤلف :

١ – نسب في ص ٨٠ الى السيوطي انه قال في ص ٨٠ من الجزء الاول من همع الهوامع : ان جملة (محمد اكرم خالدا) هي جملة كبرى ، مكونة من جملتين صغريين . محمد مبتدا ، خبره الجملة الفعلية التي تليه في محل رفع . اكرم : جملة فعلية ، فاعلها ضمير مستتر تقديره هو ، يعود على محمد (المبتدا) . ولا شي من هذا القول في الصفحة التي اشار اليها المؤلف من الكتاب المذكور للامام السيوطي . غير ان السيوطي في ص ١٢ من الهمع يقسم الجملة الى كبرى وصغرى ، (لا الى كبرى وجملتين صغريين كما زعم المؤلف) ، وهذه امثلة السيوطي :

كبرى	كبرى
زيد قام ابوه	زيد ابوه قائم
صغرى	صغرى

وعليه تكون الجملة التي جاء بها المؤلف (وزعم ان السيوطي يجعلها مكونة من جملة كبرى وجملتين صغريين) جملة كبرى وصغرى . اما الكبرى فهي محمد اكرم خالدا ، واما الصغرى فهي : اكرم خالدا .

٢ – نسب في ص ١٣٩ الى الامام السيوطي ، انه يقول في ص ١٦٠ من الجزء الاول من الهمع ان الفاعل في الاية الكريمة: ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الايات ليسجننه حتى حين ، محذوف مع ان الظاهر يشير الى وجوده متصيدا مما بعده . هذا مانسبه المؤلف الى الامام السيوطي . والسيوطي لم يقل ذلك ، وانما قال : « ان الفاعل فيه ضمير مقدر راجع الى مادل عليه الفعل » . لاحظ عبارة : « راجع الى ما دل عليه الفعل » في عبارة السيوطي ، وعبارة «متصيداً مما بعده» فيعبارة المؤلف .

٣ – زعم المؤلف ان النحاة يجعلون الجملة (محمد اكرم خالدا) اسميه فعليه ، اسمية لانه يتصدرها اسم ، وفعلية لان القسم الثاني يتصدره فعل (ص ٨٢) . والنحاة لا يعتبرون هذه الجملة اسمية فعلية ، وانما يعتبرونها اسمية الصدر فعلية العجز ، كما نص على ذلك الامام السيوطي في ص ١٢ من الهمع . وليس سواء ان تكون الجملة اسمية فعلية ، وان تكون فعلية العجز ، فهي ليست جملة فعلية باي اعتبار كان ، وانما عجزها فقط جملة فعلية .

٤ – نسب في ص ٨١ – ٨٢ الى الانباري انه قال في ص ٧٩ من اسرار العربية : فالجملة الفعلية ما كانت مكونة من فعل وفاعل ، او مما اصله كذلك ، والاسمية ما كانت مكونة من مبتدا وخبر ، او مما كان الاصل فيهما كذلك. ولاشيء من هذا القول في الاسرار في الموطن الذي ذكر المؤلف وجوده فيه . وقد نسب المؤلف هذا القول ايضا في ص ٨٢ من كتابه الى المبرد ، اذ زعم وجوده في ص ١٢٨ من الجزء الرابع من المقتضب . ولا شيء من هذا في المقتضب في الموطن الذي ذكر ان المبرد يقوله فيه .

٥ – زعم في ص ١٠٣ ان السيوطي يقول في ص ٤٠ من الجزء الاول من الهمع : (في غيرها تكون لام توكيد تؤكد الخبر وحده ، وان تؤكد الاسم) . لا وجود لشيء من هذا في الموطن الذي ذكره من ذلك المرجع .

٦ – نسب في ص ١٠٦ الى ابن جني انه قال في ص ٣٢ من الجزء الاول من الخصائص ، والى ابن يعيش انه قال في ١٨ – ٢٠ من الجزءالاول من شرح المفصل ما يلي : « انك

لو سلمت جدلا بأن والله جملة ، فانها لاتعطي معنى يحسن السكوت عليه » . ولاشيء من ذلك في هذين المرجعين .

٧ ـ نسب في ص ١٥٠ الى الدكتور ابراهيم السامرائي انه يقول في ص ٥١ من كتابه فقه اللغة المقارن : ان الاكادية قد عرفت الحركات الثلاث التي تعبر عن حالات الرفع والنصب والجر في بداية امرها ، ولكنها تخلت عن واحدة واحتفظت باثنتين .. الى آخر ذلك . وقد رجعت الى الصفحة التي ذكر انه نقل عنها من كتاب الدكتور السامرائي ، فلم اجد شيئا من ذلك .

٨ ـ نسب في ص ١٥٥ الى ربحي كمال ، والى السامرائي ، انهما يقولان ان الحركة الاعرابية من اختراع النحاة . اما السامرائي فقد صرح بنقيض ذلك تماما ، فقال في ص ١٢١ من كتابه المذكور اعلاه : « ووجه الخطل في هذا الراي ان العربية كانت معربة منذ اقدم العصور » . واما ربحي كمال ، فقد قال شيئا آخر لا علاقة له بموضوع الحركة الاعرابية . ونسب المؤلف في ص ١٥١ الى ربحي كمال انه يقول : ان الحركات في العبرية طارئة، ومن اختراع النحاة في القرنين السابع والثامن ، وضعوها في ضوء نظام الحركات في كل من العربية والسريانية . وللرد على ذلك اقول:(أ)ان الدكتور ربحي كمال لايتحدث عن الحركات الاعرابية في العبرية . فالعبرية ليست لغة معربة . ولهذا ، فان استشهاد المؤلف بهذا القول ، في موطن الحديث عن موقف العلماء من الحركات الاعرابية ، واستعراض آراء القدامى والمحدثين بشانه ، ليس في محله ابدا ، بل هو امر يدعو الى الدهشة والعجب .

(ب) الدكتور ربحي كمال يتحدث عن الرموز الكتابية للحركات التي في داخل الكلمة العبرية . وقد وضع النحاة اليهود هذه الرموز الكتابية في القرنين السابع والثامن . هذا ما يقوله ربحي كمال ، وهو صحيح .

٩ ـ ومن اخطائه في هذا المجال انه يدعي في ص ١٥١ أن يوهان فك من القائلين بأن الحركات الاعرابية من اختراع النحاة . واحالنا في حاشية الصفحة المذكورة الى ص ٢٤٦ من كتاب يوهان فك : العربية . والرد على هذا الادعاء لا يحتاج الى كبير عناء ، فان يوهان فك الف كتابه ليثبت ان العربية معربة من اقدم العصور . ولذلك ، فان القارىء لن يجد عبارة واحدة من كتاب يوهان فك تؤيد زعم المؤلف لا في ص ٢٤٦ ولا في غيرها .

١٠ ـ نسب في ص ١٥٥ الى داود عبده انه يرى ان الحركات الاعرابية ما هي الا من اجل تيسير ارتباط بعض الالفاظ ببعض ، او للتحريك عند التقاء الساكنين . وهذا يعني ان الحركات الاعرابية لا معنى لها . وهذا تحريف لراي الدكتور داود عبده الذي فند هذا الراي بقوله في ص ١٠١ من كتابه ابحاث في اللغةالعربية : « وساحاول فيما يلي ان اقدم عددا من الادلة اللغوية التي تشير الى حركات اواخر الكلمات ليست للوصل الا في حالات معينة » . كما ان الدكتور داود عبده رد علىابراهيم انيس الذي كان يرى ان الاعراب ليس الا لوصل الكلام . يقول الدكتور عبده في ص ١٠٣ ـ ١٠٤ من كتابه المذكور اعلاه : « اما في الفصحى فلا ينطبق الراي الذي نادى به ابراهيم انيس الا على حالة واحدة ، هي حالة التقاء كلمتين الاولى منهما منتهية بصوت صحيح ساكن ، والثانية مبتدئة بصوت صحيح ساكن » وهكذا لا يكون المؤلف قد حرف راي الدكتور عبده وحسب ، وانما قد نسب اليه نقيض رايه .

١١ ـ في ص ١٥٧ نقل النص التالي عن ابن جني: « ولما كانت معاني المسمين مختلفة ، كان الاعراب الدال عليها مختلفا ايضا » . وبعد ان اشار الى مصدر هذه العبارة ، احالنا الى مرجعين آخرين هما : سر الصناعة لابن جني ، ومدرسة الكوفة للمخزومي . وقد رجعت الى ص ٢٥٦ من كتاب المخزومي ، وهي الصفحة التي احالنا اليها المؤلف ، فاذا هو يتحدث عن شيء آخر . يتحدث المخزومي عن علامات الاعراب عند الكوفيين فيقول : « وعلامات الاعراب عند

الكوفيين حركات وحروف . اما الحركات في العلامات الغالبة ، فهي الدالة على المعاني الاعرابيـة في اكثر الاسماء المعربـة . واما الحروف فهي علامات خاصـة ، لاتدل على المعاني الاعرابية الا في مواطن معدودات ، وفي لهجات دون اخرى » .

١٢ ـ في ص ١٩٠ ينسب الى الانباري ما يلي : « والتلازم نوعان ؛ نوع يكون فيه الفصل بين المتلازمين ممكن سائـغ (كذا) ، بل ويؤدي غرضا بلاغيا ، او يوصل الى معنى تحويلي،وهوالقائم بين الفعل والفاعل». لايوجد شيء من ذلك فيما اشار اليه المؤلف من المصدر المذكور . ولست ادرى كيف يمكن ان يمر القارىء بهذه العبارة دون ان يقف عند جملة : « او يوصل الى معنى تحويلي ». فهل يمكن ان يكون الانباري هو صاحب النظرة التوليدية التحويلية ، أم ان المؤلف كان يعتقد ان القارىء سيكون من السذاجة بحيث لايقف عند هذه العبارة ؟ ومما يدعو الى الدهشة هنا ايضا ، ان المؤلف يظن ان مؤلف اسرار العربية هو ابن الانباري . وقد تكرر هذا الخطأ ، حتى انه في قائمة المراجع سمى مؤلف الاسرار ، ومؤلف الانصاف بابن الانباري . والانباري هو الامام ابو البركات المتوفى سنة ٥٧٧ هجرية . وابن الانباري هو الامام ابو بكر ، المتوفى سنة ٣٢٨ هجرية .

١٣ ـ نسب في ص ١٢٧ الى ابن السراج انه ينص على ان الجار والمجرور في الجملة الاسمية ، يقفان خبراً عن المبتدا وليس نيابة عن مفرد او جملة . ورجعت الى ص ٦٨ من أصول ابن السراج ، وهي الصفحـة التي احالنا اليها، فاذا هو يتحدث عن شيء آخر مختلف تماما عما يتحدث عنه المؤلف . ابن السراج يتحدث عن اعراب الاسم المسبوق بحرف جر زائد ، فيقول : « وقد ادخلوها ـ من الزائدة للتوكيد ـ على الفاعل والمفعول ايضا، كما ادخلوها على المبتدا فقالوا: ماأتاني من رجل، في موضع : ماأتاني رجل . وكذلك قولك : هل من طعام ، انما هو : هل طعام ، فموضع « من طعام » رفع بالابتداء . » وهكذا ، يتبين لك عزيزي القارىء ، انه لا علاقة لقول ابن السراج ، فيما استشهد به المؤلف ، بما تحدث عنه من اعراب شبه الجملة .

١٤ ـ نسب في ص ١٤٠ الى السيوطي انه قال في ص ٦٥ من الجزء الثاني من الاشباه والنظائر : ويجعلون للحذف مواضع يحذف فيها الفاعل وجوبا واخرى جوازا ، فيحذف الفاعل وجوبا . ولاشيء من هذا القول في الصفحة التي ذكر المؤلف انه نقل عنها واحالنا اليها .

وبعد ، فهذه امثلة قليلة من تغيير اقوال العلماء ، ونسبة اقوال وآراء الى علماء لم يقولوا بها ، مما نجده في هذا الكتاب . اما اطلاق الاحكام ، والاستنتاجات غير الصحيحة فامور لاتكاد تخلو منها صفحة واحدة من صفحات الكتاب . ولو انني احصيت ذلك كله في هذه المراجعة ، لاصبح حجمها اضعاف ماهو عليه .

المراجـع

١ ـ الأنباري ، أبو البركات ، اسرار العربية ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، دمشق ، ١٩٥٧ .

٢ ـ . الانصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيي الدين ، ١٩٦١ .

٣ ـ السامرائي ، ابراهيم . فقه اللغة المقارن ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٨ .

٤ ـ سيبويه ، ابو بشر عمرو بن عثمان . الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٥ ـ السيوطي ، عبد الرحمن . الفرائد الجديدة ، تحقيق عبد الكريم المدرس ، بدون تاريخ .

٦ ـ . المزهر ، تحقيق محمد احمد جاد المولى ورفيقيه ، القاهرة : بدون تاريخ .

٧ ـ . همع الهوامع ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ .

٨ ـ . الاشباه والنظائر ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة : ١٩٧٥ .

٩ ـ عبده ، داود . ابحاث في اللغة العربية ، بيروت : ١٩٧٢ .

١٠ ـ كمال ، دبحي . دروس اللغة العبرية ، دمشق ، ١٩٦٦ .

١١ ـ المالقي ، احمد . رصف المباني ، تحقيق احمد الخراط ، دمشق ، ١٩٧٥ .

١٢ ـ المبرد ، ابو العباس محمد . المقتضب ، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ، بدون تاريخ .

١٣ ـ المرادي ، الحسن . الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل . حلب ، ١٩٧٢ .

14- Lyons, J. Semantics. Cambridge University Press, 1979.

15- Pike, K. Tone Languages. The University of Michigan Press, 1972.

16- Sampson, G. Schools of Linguistics. Stanford University Press, 1980.

17- Smalley, W. Manual of Articulatory Phonetics. California, Carey Library, 1977.

WWW.ATTAWEEL.COM